القوات الغربية خلال عملية التدخل في شابا

زائير:

الحلف الاطلسي في اول مجابهة مكشوفة في افريقيا

هل ضمن الغرب أمن نظام موبوتو حقاً ؟

تحت شعار الانزال العسكري بهدف اجلاء الرعايا الاوروبيين من اقليم شابا ، تدخل نصف دول حلف شمال الاطلسي لنجدة نظام حكم موبوتو ، وسحق انتفاضة شابا بقيادة جبهة التحرير الوطني الكونغولية • فمن بعد تردد انعكس في تصريحات بلجيكية ، فرنسية واميركية، عن عدم وجود نية بالتدخل في زائير ، كانت خلالها زعامات هذه الدول تنسق فيما بينها ، تدخلت القوات البلجيكية والفرنسية بمساعدة اميركية ، بريطانية والمانية غربية ، في اقليم شابا ، وتمكنت من توجيه ضربة رئيسية ضد الثوار • لكن هل انقذ هذا التدخل العسكري الغربي نظام حكم موبوتو لوقت طويل ؟ • موبوتو نفسه لا يجرؤ على مثل هذا الايفال في التفاؤل • وقد اعترف بذلك ضمنا ، كما اعترفت فرنسا عندما اعلنت عن بقاء قواتها هناك « لبعض الوقت » •

لقد سبق التدخل الفرنسي ـ البلجيكي المباشر بدعم غربي ، في اقليم شابا نغمة مماثلة عن تعرض الرعايا الاوروبيين لخطر عمليات انتقامية افريقية ، وعن « الاهتمام فقط » بسلامة هؤلاء الرعايا وبالتالي ضرورة القيام بعمليات عسكرية تستهدف اجلاءهم فحسب ••• ففي سنة ١٩٦٤ شهدت زائير (الكونغو البلجيكي سابقا) عملية تدخل مشابهة ، عندما انزل المظليون البلجيكيون في مدينة ستانليفيل ، المعروفة الان باسم كيسانغاني ، وبواسطة طائرات النقل العسكرية الاميركية ، بحجة انقاذ الاوروبيين من « مذابح الثوار » • كان ذلك خلال تشرين ثاني وكانون اول من عام ١٩٦٤ • وفي تموز ١٩٦٥ ، كانت الثورة قد قمعت ••• واليوم حدث الشيء نفسه ، ولكن هذا لا يعني ان النتائج ستكون مماثلة •

لقد بدأت اولى مؤشرات التدخل الغربي في زائير بعد يومين على انفجار الانتفاضة مجددا ، في اقليم شابا ، عندما بدأ الحديث عن الوضع الحرج للرعايا الاوروبيين ، ونشر انباء عن مقتل عدد منهم ، وقد بدأ هذا الحديث عندما تأكد سقوط كولويزي ، والمركز المنجمي فيها ، بايدي قوات جبهة التحرير الوطني الكونغولية • وكان اعلام الرئيس الزائيري يركز على الترويج لمزاعم عن « تدخل انغولي وكوبي وتواطؤ ليبي وجزائري وزامبي » ، الى ما هنالك من مزاعم ، لاستعجال نجدة الغرب له ، وتوفير « المبرر » للتدخل العسكري لانقاذه • لكن الدول الغربية لم تكن بحاجة الى مزاعم « تدخل كوبي » في شابا لتبرير هجمتها العسكرية من اجل اخماد الانتفاضة وضمان امن نظام موبوتو • بل ان هنري سيمونيه وزير الخارجية البلجيكي ، لم يستطع الا ان يقول بان المعلومات المتوفرة لديه تؤكد بانه لا يوجد جنود كوبيون في منطقة شابا او على الحدود الانغولية ـ الزائيرية ، مضيفا بانه لو كانت هناك قوات كوبية لكان الموقف اكثر وضوحا (!) كما اعلن ديفيد اوين وزير الخارجية البريطاني ، انه ليس هناك ثمة دليل على تورط قوات كوبية في غزو اقليم شابا ••• وقد جاء هذا النفي في وقت كانت تجري فيه اتصالات مكثفة بين الدول الاطلسية الخمس ، انتهت الى اتخاذ قرار بقيام قوات فرنسية ـ بلجيكية بالتدخل العسكري المباشر ، بينما تقدم الولايات المتحدة (وبريطانيا والمانيا الغربية) مساعدات عسكرية تقف عند حد اشراك قواتها في العملية العسكرية الموضوعة •

● طيارون مصريون ايضا •••

وجاءت اشارة الانطلاق من باريس ، عندما

الرئيس ديستان : مغامرة اخرى لفرنسا في افريقيا

موبوتو : حاجة الى المزيد من العكازات

اعلنت الحكومة الفرنسية انها ستتخذ اجراءات ، زعمت انها « تستهدف ضمان سلامة المواطنين البيض في منطقة شابا » ، وعندما اوضح ناطق باسم قصر الاليزيه انه « تم اتخاذ قرارات في اجتماع استراتيجي عقد برئاسة الرئيس جيسكار ديستان ••• » وانطلق من ثم اسطول جوي فرنسي

دور مرتقب لسلاح الجو الفرنسي

□ قال الجنرال موريس سان كريك، القائد الاعلى لسلاح الجو الفرنسي : « هذه العمليات (في افريقيا) برهنت انه ، اذا ارادت فرنسا ان تلعب دورا في البحر المتوسط وافريقيا ، حيث لنا تراث عملي لا يضاهى ، ومصالح اقتصادية واستراتيجية مهمة ، واذا اردنا تقديم مساعدة للبلدان الصديقة التي تطلب ذلك ، فان القوى الجوية هي الان ، وستكون مستقبلا الاداة الرئيسية المختارة لهذه الاستراتيجية ، بفضل قدرتها على الحركة وسرعة مبادرتها وقوة نارها » (!)

يحمل وحدات من فرقة المظليين الاجنبية الثانية ، الفرنسية • هذا ، بينما صرحت « مصادر مطلعة » في بروكسل ، ان الطائرات الحربية البلجيكية اقلعت الى قاعدة كامينا الجوية ، في اقليم شابا ، وعلى بعد ٢٠٠ كيلومتر شمال غربي كولويزي ، وتحمل ١٧٥٠ جنديا مزودين بكل انواع الاسلحة • وصرح ايضا ، مصدر في وزارة الخارجية الاميركية بأن الولايات المتحدة « ستتابع تقديم المساعدات العسكرية لحكومة زائير » ، اما فيما يتعلق بالوحدات التابعة للفرقة ٨٢ الاميركية المجوقلة ، فانها « ستبقى في حالة التأهب في حال كان ثمة حاجة لتدخلها ••• » بينما اعلنت الحكومة البريطانية انه « ليس من المستبعد ان تشترك بريطانيا في اية عملية تستهدف اجلاء الرعايا الاجانب من اقليم شابا ، عبر التشاور الوثيق مع حكومة بلجيكا ، فرنسا والولايات المتحدة » • واوضح مصدر مطلع في بروكسل ، انه « ستجري عمليتان منسقتان ، اولاهما عربية قصيرة ومحدودة تتعلق باجلاء الرعايا الغربيين،تليها اخرى افريقية بحتة ، لمساعدة قوات موبوتو على استرداد مدينة كولويزي الغنية بالمناجم ، وعلى منطقة اقليم شابا » • وزلة اللسان كانت كافية كدليل اولي عن حقيقة العملية العسكرية الغربية « الانسانية » في شابا !

لقد تألفت القوة المشتركة من ٤٧٠٠ جندي مظلي ، فرنسي وبلجيكي ، نقلوا بطائرات سي ـ ١٣٠ الاميركية ، بينما كان الطيران الزائيري يقوم بدور رئيسي ، وكان فرنسيون ومصريون خاصة ، يقودون طائرات « ميراج » الفرنسية • وكان القتال ضاريا بين القوات الحكومية والاجنبية، وقوات جبهة التحرير الوطني الكونغولية •

● الفرنسيون باقون

لقد شاركت خمس دول من حلف شمال الاطلسي في عملية نجدة نظام حكم موبوتو • ولم تقتصر النجدة على التدخل العسكري والمساعدات العسكرية ••• فقد اصدر الرئيس الاميركي كارتر ، امرا بتخصيص ٢٠ مليون دولار لمساعدة زائير في العملية • وقررت المانيا الغربية تقديم ما يزيد عن ٢١ مليون دولار كمساعدات اقتصادية وفنية لزائير • ولكن المساعدة الاهم هي في موافقة فرنسا على طلب موبوتو ببقاء قواتها في شابا •••

فبالرغم من نجاح التدخل العدواني الغربي في اخماد الانتفاضة في شابا ، بقيت جيوب المقاومة تقاوم • ويبدو ان كلا من موبوتو وديستان ، قد اعتبرا من التجربة السابقة : من حقيقة ان التدخل العسكري السابق في شابا الذي اخمد الانتفاضة ، لم يمنع من تجددها بعد ١٤ شهرا وبقوة اكثر من السابق • فقد نقلت الاذاعة الفرنسية عن الرئيس الزائيري قوله بانه يرغب في بقاء قوات المظليين الفرنسيين في زائير « لبعض الوقت » بعد انتهاء عمليات ترحيل الاجانب • ورغم ان وزراء خارجية السوق الاوروبية المشتركة (الذين وافقوا على التدخل الفرنسي في شابا) طلبوا سحب هذه القوات فور انتهاء عمليات اجلاء الاوروبيين عن

رئيس وزراء زائير : انتظرناهم من الغرب فجاؤوا من الجنوب !!

● في مقابلة مع اذاعة مونتي كارلو باللغة الفرنسية قال « رئيس وزراء » زائير في معرض تبريره لنجاح الهجوم الذي شنه ثوار كاتانغا واحتلالهم لجميع المدن الرئيسية في شابا بسرعة خاطفة : في المرة السابقة «اي في العام الماضي» سلكت القوات المهاجمة الطريق من الحدود الانغولية الى كولويزي عاصمة شابا وقطعت بذلك مسافة طويلة ، وتحسبا لهجوم جديد نشرت حكومة زائير قواتها على الحدود الانغولية وهي حدود واسعة غير ان المهاجمين جاؤوا هذه المرة عن طريق زامبيا واصبحت المسافة بينهم وبين كولويزي حوالي ٦٠ كيلومتر ، وانتم تعرفون ماذا يعني عنصر المفاجأة ، ولذا كان من الصعب التصدي لهم ، وقد بدوا هذه المرة اكثر تنظيما من المرة السابقة » •

وحول سؤال اخر عن امكان ان تحل القوات الزائيرية محل القوات الفرنسية في كولويزي لمنع عودة الثوار قال « رئيس وزراء » زائير : هذا السؤال سابق لاوانه وتصعب الاجابة عليه ، وعلى اي حال فان القوات الفرنسية لم تنسحب بعد •

كولويزي ، فان رد لوي دي غيرينغو على زملائه ، كان : « ان العملية العسكرية الفرنسية محددة بمهلة زمنية » ، وهذا الغموض ما كان ضروريا لولا ان باريس ترى ان طلب موبوتو « معقول » اكثر من طلب شركائها الاوروبيين •••

ان تنافس المصالح بين البلجيكيين والفرنسيين في زائير ، واقليم شابا بالتحديد ، قد وصلت الى نقطة احتكاك خلال عملية التدخل العسكري المشترك بينهما ، ورغم النفي الدبلوماسي لانباء هذا الخلاف ، فان في كلام وزير الخارجية البلجيكي عن الشريك الفرنسي تلميحا الى نوايا فرنسا في زائير ، برغم انتهاء عملية كولويزي عسكريا • فقد قال الوزير سيمونيه : « ان للحكومة الفرنسية سياسة افريقية لا نتبناها • ولديها هدف هو المساهمة عسكريا ، في المحافظة على انظمة الحكم في افريقيا • وهو ما تقوم به في عدد من تلك الدول ••• » •

● كنوز شابا

الى متى يبقى الفرنسيون في شابا ؟ سؤال لا بد وان ينتظر • فقد تدخلت فرنسا مع بلجيكا (التي لها مصالح ضخمة في شابا) وبمساعدات من الشركاء الاطلسيين ، للدفاع عن نظام حكم موبوتو الذي يقوم بخدمة المصالح الرأسمالية والامبريالية ، لان بقاء واستمرار هذا النظام هو جزء اساسي من سياسة الدفاع عن مصالح الامبريالية الاميركية ومصالح الامبرياليين الاصغر ، في القارة الافريقية •

ان موقع زائير له اهمية تبرز بوضوح من نظرة سريعة على الخارطة • انها دولة لها حدود مشتركة مع سبع دول افريقية ، ويمكن من هذه الحقيقة ان نفهم اهتمام المعسكر الغربي الامبريالي بالمحافظة على نظام حكم موال له في دولة افريقية رئيسية ، لها هذا الموقع الحساس • ان دولة لها حدود مشتركة مع السودان ، انغولا ، الكونغو برازفيل ، اوغندا ، زامبيا ، تانزانيا وافريقيا الوسطى ، وان احتمال ـ مجرد احتمال ـ ان يسقط نظام حكمها القائم لصالح نظام حكم وطني ، يكفي لبعث الذعر في اوصال المعسكر الغربي •

لكن ما لا يقل اهمية ، هو تلك الثروة الطبيعية التي يعوم عليها هذا البلد ، وخاصة اقليم شابا ، الذي كان يسمى كاتانغا سابقا • فهذا الاقليم يعتبر « لؤلؤة افريقيا المعدنية » • فمساحته توازي مساحة فرنسا ، ويقطنه ٣ ملايين نسمة • وهو اهم مصدر عالمي للنحاس والبلاتين والقصدير والكوبالت ، هذا بالاضافة الى ثرواته من اليورانيوم ذي الاشعاع العالي ، والراديوم والزنك والحديد والتنغستين والمانغانيز والكاديوم والذهب والفضة ••• هذا ، بالاضافة الى ثروة زائير من الاخشاب والبن والمطاط والارز والسكر والقطن وغيرها ••• وعلى سبيل المثال ، فقد انتجت زائير سنة ١٩٧٣ ، ٧ بالمئة من نحاس العالم ، و ٦٧ بالمئة من كوبالت العالم ، وثلث الماس الصناعي •

ان الثروة الاقتصادية في شابا التي تستغل من قبل الدولة والاستثمارات الاوروبية والاميركية ، هي العمود الفقري لاقتصاد زائير • ومع ذلك فان الثلاثة ملايين نسمة التي تقطن الاقليم تعيش وكأنها تقطن ارضا جرداء • واذا كان هذا الاقليم قد حاول في اوائل الستينات ، الانفصال عن الكونغو بتأثير عوامل عدة ، ليست اقلها الصراعات القبلية والمصالح المنجمية الاوروبية ، فان انتفاضاتهم التي تجددت بعد عقدين من الزمن تقريبا ، لا تتمحور حول رغبة الانفصال بقدر ما هي تتمحور حول هدف الاطاحة بالحكومة المركزية في كينشاسا ، التي يقودها الرئيس موبوتو ، ورغبة الخلاص من نظام حكم فاسد وعاجز • وهذه الانتفاضات المتجددة لا يقودها « درك كاتنغا » ، بل « جبهة التحرير الوطني الكونغولية » ، والتي تعهدت بعد الضربة الرئيسية التي تلقتها قبل اكثر من سنة ، بان لا تلقي السلاح ، بل ستواصل النضال حتى اسقاط نظام موبوتو ، وكانت على عهدها بعد ١٤ شهرا ••• واذا كانت القوات الفرنسية باقية في شابا « الى اجل غير محدد » ، فان التواجد هناك لن يكون رحلة استجمام لهذه القوات ، بل ان نظام حكم موبوتو سيحتاج الى المزيد من العكازات بعد انتفاضة شابا الاخيرة •